الشبـاب بيـن صـراع القيـم وأزمـة الثقـة

أ.د. محمد بومخلوف
قسم علم الاجتماع – جامعة الجزائر2

Young people between conflict of values and crisis of confidence

Pr. Mohamed BOUMAKHLOUF
Sociology department - University of Algeirs 2

Abstract
This study discusses two important interrelated phenomena: the conflict of values and the crisis of confidence. These phenomena characterize the lives of Arabic young in general and the Algerian one in particular, and reflect the profound social changes which are happening across the Arab societies.
We present in the first point the intellectual and the theoretical debates with regards to the reality and the role of values in the social development and social progress. We focus on the case of the Arab world, and discuss the conflict of values among Algerian youths seeking to determine its factors and manifestations.
In a second point, we discuss the finality of crisis of confidence among young people, which usually leads to social conflict. But at the beginning, we define the concept of trust, its causes, its dimensions, its declineand its impact onsocial life.

Keywords:
Youths, values, conflict, confidence crisis, social changes.

La Jeunesse entre conflit des valeurs et crise de confiance

Pr. Mohamed BOUMAKHLOUF
Département de sociologie- Université d'Alger2

Résumé
Nous traitons dans cette étude deux importants phénomènes interdépendants chez les jeunes: le conflit des valeurs et la crise de confiance. Les phénomènes multiples qui en découlent sont aussi abordés. Ces phénomènes caractérisent la vie de la jeunesse (arabe en générale et algérienne en particulier), et reflètent les profondes mutations que traversent les sociétés arabes.
Nous abordons dans un premier point, le débat intellectuel et théorique qui porte sur la réalité des valeurs et leurs rôles en tant que facteur de développement et de progrès social. Nous mettons en évidence le cas du monde arabe, et nous discutons les conflits des valeurs chez la jeunesse algérienne en cherchant à déterminer ses mobiles et manifestations.
Dans un deuxième point, nous débattons de la finalité de la crise de confiance chez les jeunes qui généralement aboutit à des conflits sociaux. Nous aurions au préalable, définit la notion de confiance, ses causes, ses dimensions, son déclin et son impact sur la vie sociale

Mots clés:
Jeunesse, valeurs, conflit de valeurs, crise de confiance, conflit social.

ISSN : 2170-1431: ردمد * تاريخ القبول : أفريل 2012 * تاريخ الإيداع : جويلية 2011

ملخص

تتناول هذه الدراسة ظاهرتين مترابطتين مؤثرتين في حياة الشباب: صراع القيم وأزمة الثقة، وما يترتب عنهما من ظواهر متعدّدة أصبحت تميز حياة الشباب الجزائري والعربي عامة، و تعكس في الوقت ذاته التحوّلات التي تمرّ بها هذه المجتمعات.

تعرضنا في النقطة الأولى إلى المناقشات الفكرية والنظرية التي تناولت القيم من حيث واقعها ودورها في التنمية والتقدم الاجتماعي، مركزين على حالة العالم العربي ومبرزين صراع القيم لدى الشباب الجزائري ومظاهره وعوامله.

وفي النقطة الثانية ناقشنا أزمة الثقة عند الشباب والتي غالبا ما تنتهي إلى الصراع الاجتماعي. وهذا بعد تحديد مفهوم الثقة وأبعادها ودراسة أسباب زوالها وانعكاسات ذلك على الحياة الاجتماعية.

الكلمات الدالة: الشباب، القيم، الصراع القيمي، أزمة الثقة، الصراع الاجتماعي.

مقدمة

يشهد المجتمع الجزائري على غرار المجتمع العربي تغيرات بنيوية عميقة وسريعة مست مختلف أركانه التقليدية منذ عدة عقود من الزمن، وذلك منذ أن باشرت هذه البلدان سياسات التحديث والتنمية فور حصولها على الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية، تجلت إفرازاتها بكل وضوح مع مطلع العشرية الثانية من الألفية الثالثة فيما أصبح يعرف بالثورات العربية التي قادها الشباب بعيدا عن أي تأطير رسمي، متأثرة بما يجري في العالم بأسره من تحولات، زاد من سرعتها التطور التكنولوجي الهائل وغير المسبوق الذي قضى على الحواجز الطبيعية والاجتماعية والنفسية والسياسية كما قضى على السلطات التقليدية والموانع البيروقراطية التي تمارس وتضغط على الأفراد والناس عامة. إن الشباب يعد أكثر الفئات الاجتماعية تأثرا بهذه التغيرات والتحولات لكونه الفاعل الرئيسي فيها والمتحمل لتبعاتها من جهة، ولكونه العنصر الحساس والديناميكي الباحث عن مكانة له في هذا العالم من جهة أخرى.

إن السياسات التنموية التي باشرتها البلدان العربية التي مضى عليها الآن في معظم البلدان أزيد من أربعين سنة، وبالوسائل والمناهج والمنظورات التنموية المتعددة مثل: التحديث، التصنيع، نقل التكنولوجيا، ونقل المعرفة وما تبعها في الواقع من تحضر وبروز حياة المدن التي مست قطاعا واسعا من السكان، نقلت المجتمع العربي من وضع إلى وضع آخر، وأنتجت واقعا اجتماعيا مليئا بالتناقضات القيمية خاصة بين القيم المصاحبة للتحديث والقيم التقليدية،

وفي ظل كل هذه التحولات ومع تعقد الحياة وصعوباتها، برز الفساد واستشرى في المجتمع، الذي يعد نقطة البداية نحو هدم الثقة التي تعد أساس التقدم الاجتماعي. فالفساد متعدد الأبعاد نزع واجتث الثقة من الجذور في كل ما هو رسمي، فساد اللا رسمي في جميع أبعاد الحياة، وأصبح الرسمي شكلي وغير الرسمي جوهري، وقاعدة يعمل بها في كافة المعاملات.

هذا بالإضافة إلى الانكسارات والانهزامات التي عرفتها الأمة العربية (ضياع فلسطين، تمزيق العراق، تفكيك السودان)، وما ألصق بأفرادها من صفات التخلف والإرهاب وغيرها من الصفات غير الكريمة. ومع تغير الأجيال برز جيل ترعرع في هذه الظروف القاسية المليئة بهذه التناقضات والخوف والشك والإحباطات، كونت لديه شخصية تبحث عن رد الاعتبار والكرامة، وما هذه الثورات الشبابية التي عمت البلاد العربية، مهما كانت خلفياتها وبواعثها، إلا دليل قاطع على بروز جيل جديد يطمح إلى تغيير هذا الواقع ولديه القابلية للثورة، خاصة وهو يرى على يمينه وعلى شماله شعوبا أقل منه إمكانية وأقل منه عدة حضارية وديمغرافية واقتصادية رافعة الرأس كريمة عزيزة. فالأربعون سنة التي مضت على التنمية العربية تعد نقطة تحول هامة لحدوث التغير، حسب نظرية ابن خلدون في الأجيال والتغير الاجتماعي[1] . ففيها يتنحى جيل، إن لم ينته، ويحل محله جيل مغاير في النشأة والظروف.

وهكذا وفي ظل هذه الظروف أصبح الشباب يعيش أزمتين تغذي كل منهما الأخرى، أزمة صراع القيم وأزمة الثقة. تدهور الثقة في المؤسسات وفي الأشخاص وحتى في المراجع أحيانا، الأمر الذي تولد عنه صراع القيم بين القيم المثالية بما تحمله من مثل ومبادئ وفضائل... والقيم الشائعة الواقعية السائدة في المعاملات اليومية الرسمية وغير الرسمية. زيادة على مشاكله النوعية المتعلقة بالبحث عن الاستقرار وتحقيق طموحاته في الحياة الكريمة، ما جعله يطور ويعتمدِ على الثقة البينية فيمن يثق فيهم بديلا عن الثقة المؤسساتية، ويستند إلى التأطُّر الحر البيني أيضا بديلا عن التأطير الرسمي والمراجع التي يختارها لنفسه بديلا عن المراجع الرسمية عبر ما وفرته الوسائل الإعلامية المتطورة العابرة للقارات والثقافات. كما استنتج أحد الباحثين المغاربة بأن"الدعوات التي ترفعها وزارة الأوقاف إلى التشبث بالخصوصية الدينية وبالتقاليد العريقة للمغاربة، تتكسر على صخرة التدفق الإعلامي الهائل الذي عبر كل القارات

1 -عبد الرحمان (1984). المقدمة. الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، ص -182 188، 223-221.

وهدم كل الخصوصيات"[2].

I. القيم وصراع القيم

1- تعريف القيم

لقد لاحظ محمد عابد الجابري من خلال المعاجم العربية، أن كلمة القيم تعود إلى بعد اجتماعي من قبيل الثمن، فالقيمة لها دلالة اجتماعية، وانتقالها من المعنى التجاري والاجتماعي إلى المعنى الأخلاقي تم من خلال الترجمة من اللغات الأجنبية الحديثة، التي تم فيها الارتقاء بمعنى القيم من معناها الاقتصادي إلى المعنى الأخلاقي، فأصبحت ترادف الفضائل، الكلمة الأكثر استخداما في الكتب التراثية قبل أن تحل محلها في المجال التداولي العربي المعاصر[3]. وحتى في اللغات الأجنبية؛ فإننا نجد الشحنة الأخلاقية المعيارية لمفهوم القيم حديثة أيضا، ففي الأصل في اللغة الفرنسية والانجليزية تعني الشجاعة في القتال، ثم تطورت إلى معنى ما يساوي الشيء، ثم إلى معنى الثمن والتقدير الذي يحظى به الشيء، ولم تأخذ المعنى الأخلاقي في اللغة الفرنسية إلا في منتصف القرن التاسع عشر وهو معنى المثل التي تستعمل معايير لأحكام القيمة الموجهة للنشاط الأخلاقي[4].

ثم جاءت بعد ذلك تعاريف كثيرة لمفهوم القيم حسب الميادين المعرفية واستخدامات المفهوم، لكن تبقى تدور دائما في مستوى الفضائل والتوجهات والمواقف والمعتقدات والمبادئ والمثل. يرى أحمد مهدي عبد الحليم أن مفهوم القيمة يشير إلى"حالة عقلية ووجدانية، يمكن معرفتها في الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤشرات، هي المعتقدات والأغراض والاتجاهات والميول والطموحات والسلوك العملي، وتدفع الحالة العقلانية والوجدانية صاحبها إلى أن يصطفي بإرادة حرة واعية وبصورة متكررة نشاطا إنسانيا- يتسق فيه الفكر والقول والفعل- يرجحه على ما عداه من أنشطة بديلة متاحة فيستغرق فيه، ويسعد، ويحتمل فيه ومن أجله أكثر مما يحتمل في غيره دون انتظار لمنفعة ذاتية"[5]. أما ماجد عرسان الكيلاني فيرى: "القيم محطات ومقاييس تحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال

2 -رشيد جرموني (خريف 2009). ا"لتحولات القيمية بالمغرب: الشباب نموذجا"، إضافات: المجلة العربية لعلم الاجتماع، مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، العدد الثامن، ص 168-159.

3 - رضوان زيادة، كيفن جيه أوتول (2010). صراع القيم بين الإسلام والغرب، ط 1، دار الفكر، دمشق، ص 23-22.

4 - نفس المرجع، ص 25-24.

5 - نفس المرجع، ص 22.

والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها، أو من حيث سوءها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو في منزلة مهينة بين هذين الحدين"[6].

وتحتل القيم موقعين بالنسبة للفرد: موقع مثالي، وموقع واقعي يتجلى في التصرفات والسلوكيات، وبما أنها كذلك فهي نسبية وسُلمية ومتغيرة، وبتغيرها تقدم أدلة وعلامات على اتجاه تطور المجتمع، وعندما نتحدث عن تغير القيم في مجتمع ما فإننا عادة نعني تحول سلم القيم وليس خلق قيم جديدة [7].

ومن هنا تأتي مسألة صراع القيم وهي التعارض بين المثالي والواقعي من جهة، والتعارضات المتولدة عن التحول من حيث صعود قيم ونزول أخرى من جهة ثانية. ويعرفه (ويلارد ويلر w.weller) بأنه تضاد بين اتجاهين أساسيين من اتجاهات القيم، كالتضاد بين القيم المنبثقة عن التنظيم الاجتماعي، وتلك التي ترتبط بمثل إنسانية أشبه ما تكون مثالية"[8].

2- القيم (الفردية والجماعية) والفعالية

وفقا لما سبق فإن القيم إما أن تُفعِّل وتشحذ الطاقة الإنسانية من أجل الإنجاز وإما أن تثبِّطها وتجعلها راكدة خامدة ضائعة تصرف فيما لا يفيد، كما توجه الفعل الإنساني وجهة معينة في المجال الاجتماعي الاقتصادي، وهي التي ترسم وتحدد نظرة الإنسان لفعله وعمله بل إلى الحياة بأسرها، الذي يتجسد بعد ذلك في الواقع في صورة وشكل ملموس في المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. فالإنسان بما يحمله من شحنات وغايات وليس بما يملكه من أشياء، رغم أهمية الأشياء للإنجاز، غير أنها تبقى تفتقر للمحرك، بينما الطاقة المشحونة في الأفراد تخلق الأشياء بنفسها. هذه الشحنات وهذه الطاقة متضمنة في القيم. فهذا (مهاتير محمد) أبوالنهضة الماليزية الحديثة، يوضح في حديثه أنهم عند رغبتهم في الإنجاز التفتوا إلى الشرق وبالذات إلى القيم اليابانية[9] التي تؤكد على أخلاقيات العمل: الإنجاز والإتقان والوفاء. فسر التطور كله يكمن هنا، فجودة المنتوج الياباني لا تنافس كما لا ينافس الإنجاز.

---

6 - نفس المرجع، ص 21.

7- Lugan Jean-Claude ,(1983) Éléments d'analyse des systèmes sociaux ,Éditions Privat ,Toulouse,ch.4.

8- ماجد الزيود (2006). الشباب والقيم في عالم متغير. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص100، نقلا عن جمال حواوسة (2009)، "ظاهرة الصراع القيمي لدى الشباب الجزائري(دراسة تحليلية)"، نشر في أعمال الملتقى الدولي حول: الشباب بين الأصالة ومسايرة المعاصرة، 26-25-24 مارس 2008 منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ص ص 140-117.

9 -http://www.albayan.ae/economy/6-2000-12-30-1.1057159.

يضاف إلى ذلك النظام القيمي العام السائد في المجتمع الذي يحرص على المحافظة على طاقات الناس وصرفها فيما هو مفيد من مال ووقت وجهد، بمعنى أن كافة أنظمة المجتمع تسعى إلى تلك الغايات، مثل نظام النقل ونظام الإدارة ونظام الخدمات وغيرها من الأنظمة التي تتعامل مع الناس وتحرص على توفير جهدهم ووقتهم ومالهم.

بمعنى أن الفعل الإنساني الموجه بواسطة القيم لا وجود له إلا في إطار النسق، كما يذهب إلى ذلك (ميشال كروزيه) في كتابه: الفاعل والنسق (L'acteur et le système)، عند تحليل علاقات الفاعل والنسق، حيث أن الفاعل لا وجود له خارج النسق الذي يحدد (يرسم) له الحرية التي يمتلكها والعقلانية التي يستطيع استخدامها في فعله. وبالمقابل فلا وجود للنسق إلا بالفاعل الذي وحده يستطيع حمله ومنحه الحياة، وهو وحده الذي يستطيع تغييره. فمن هذا التواجد لمنطقين تتولد صعوبات أو إكراهات الفعل المنظم[10].

والنسق، هو نسق اجتماعي ثقافي، الذي يشكل المحيط المشجع أوالمكبل للفرد في تفجير طاقاته وإبداعاته، كما يزوده بطاقات وخبرات ويفتح أمامه آفاقا واسعة لتحقيق طموحاته الطبيعية، والمجتمع بأنساقه القانونية والاجتماعية والثقافية هو الذي يساعد أو لا يساعد على تفجر مكنونات الإنسان. ففي ميدان المقاولة والابتكار يذهب (فيليب برنو Philippe Bernoux) إلى أنه إذا كانت المؤسسة من إنشاء الشخصية المبتكِرة فإن بروز هذه الأخيرة (الشخصية المبتكِرة) مشجَعة أكثر في نسق وأقل تشجيع في نسق آخر، وإلا كيف نفسر تفوق نسبة المُنشئين في المجتمع الأمريكي مثلا عنها في المجتمع الفرنسي؟ هل لأن الشخصيات المبتكرة مولودة بكثرة هناك وليس هنا؟ أم أن النسق الأمريكي مشجع على بروز هذه الشخصيات أكثر من النسق الفرنسي؟ حيث نلاحظ في واقع الأمر أن النسق القيمي الأمريكي يثمن أكثر الرابحين والمؤسسات تحرر الابتكار بدون نظام للمساعدة لكن مع تسهيلات أكبر، بينما نجد النموذج الفرنسي أكثر عدالة لكنه أقل نخبوية، لا يدفع للنجاح الفردي من خلال خلق المؤسسة ويضاعف في ذات الوقت من المساعدات المسبقة.[11] . بمعنى أن النسق القيمي الأمريكي يثمن النجاح ويقدم التسهيلات من أجله بينما النسق القيمي الفرنسي يعتمد على تقديم المساعدات والفرق بينهما شاسعا. وإذا أردنا أن نبدي ملاحظة حول النظام الجزائري في هذا الشأن

10- Crozier Michel et Erhard Friedberg (1977), L'acteur et le système: Les contraintes de l'action collective, Éditions du Deuil, p.9.

11- Bernoux Philippe (1985), La sociologie des organisations Initiation, Éditions du Seuil, p.p.10-11.

نجده يقدم المساعدات ويعقد التسهيلات مما يثبط النجاح.

فكما تتغير القيم فإنها يمكن أن تنقل كذلك وتُتَعلم، وهذا ما ذهب إليه (مهاتير محمد) إلى أنه إذا كانت المنتجات اليابانية اليوم قد اشتهرت بجودتها العالية فإنها قبل حرب المحيط الهادي كان شعار(صنع في اليابان) مرادفا لكلمة الرداءة [12] . كما يرى أنه لا يوجد شيء لا يمكن تعلمه بما في ذلك عناصر العائدات الثقافية، فكل شيء يمكن تعلمه ونقله، وهذا بصدد حديثه عن تطور بلاده التي التفتت إلى محاولة فهم أسرار تفوق الآخرين، فالعبرة تكمن في فهم الأسرار وامتلاك المفاتيح، مفاتيح التقدم الكامنة في القيم.

وقد تعرض مالك بن نبي أيضا إلى مسألة الفعالية وربطها بالمجتمع الذي يزرعها في الإنسان، حيث يذهب إلى أن "الإنسان يمثل معادلتين: معادلة تمثل جوهره إنسانا صنعه من أتقن كل شيء صنعه، ومعادلة ثانية تمثله كائنا اجتماعيا يصنعه المجتمع. ومن الواضح أن هذه المعادلة الأخيرة هي التي تحدد فعالية الإنسان. الإنسان في جميع أطوار التاريخ لا يتغير فيه شيء، بل تتغير فعاليته من طور إلى طور. وهذا يعني أن شخصيته ليست بالبسيطة، وإنما هي مركبة تشتمل على عنصر ثابت تحدد كيانه إنسانا وعنصر متغير يحدد قيمته كائنا اجتماعيا. وهذا يجعلنا نصوغ مشكلته صياغة جديدة وأن نتساءل: ما هي الظروف التي تجعل المجتمع يخلق في الفرد القيمة التي تبعث فيه الفعالية؟ [13] ويذهب في مكان آخر إلى أن "عنصر الحركة الدافعة في الإنسان أو ما نطلق عليه اسم الفعالية، يدخل في بناء الشخصية عن طريق التمثل النفساني لعناصر ثقافية معينة، يمتصها الفرد في الجو الاجتماعي الذي يعيش فيه. كما يمتص الحيوان العناصر الحيوية عن طريق التنفس في الجو الطبيعي. ولا شك أن الفعالية تتركب في بناء الشخصية بكل بساطة، عن طريق تنسيق حركي تأليفي للمقومات الأولية: الفكر، اليد، المال بمعناه الصحيح أي باعتباره العمل المخزون"[14]

فـ"الطبيعة الإنسانية لا تتغير"[15] وإنما الذي يتغير هو المحيط القيمي-الاجتماعي للإنسان سواء عبر الزمان أو المكان، ومن ثم فهو المسئول عن اختلاف البشر من مكان إلى آخر ومن فترة زمنية إلى أخرى، وهكذا نجد

12- http//:www.albayan.ae/economy.6-2000-12-30-1.1057159/

13- مالك بن نبي (2002)، مشكلات الحضارة: تأملات، دار الفكر المعاصر، بيروت -لبنان، دار الفكر، دمشق-سورية، ط 1 ص 135

14- نفس المرجع، ص 58.

15- جوزيف شومبيتر (1964)، الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، تعريب وتعليق: خيري حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، ص 313.

الإنسان فعالا في مجتمع وغير فعال في مجتمع آخر، وفعال في فترة تاريخية معينة وغير فعال في فترة أخرى في ذات المجتمع، كما تختلف من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى جماعة في ذات الزمان وفي ذات المكان، ومرد ذلك إلى القيم التي يحملها كل إنسان، ففعاليته إذاً رهينة قيمه.

ففي الدراسة التي أجريناها عن الشباب والتي شملت عينة تتكون من 1475 مفحوص مناصفة بين الذكور والإناث، تم استخراجها بالطريقة العرضية الحصصية على المستوى الوطني، شرق- غرب- وسط- جنوب، مست الشباب الموجود في مختلف الوضعيات الإجتماعية (البطالين، المتربصين في التكوين المهني، المقاولين، العاملين، أصحاب عقود ما قبل التشغيل، الجامعيين) وبالتوازي مع ذلك أجرينا ست مقابلات جماعية بؤرية بتقنية focus group شارك فيها 70 شابا وشابة، والتي سنعتمد على بعض نتائجها في معالجة طبيعة قيم الشباب، وصراع القيم الذي يعاني منه وأزمة الثقة الناشئة عن هذا الصراع[16].

وما استخلصناه من نتائج هذه الدراسة أن الشباب اليوم في بلداننا طاقة شبه ضائعة لأنها غير مفعَّلة ومجمَّدة ومهدورة وجهودهم غير منظمة ولا منسقة بل مشتتة. فحول سؤال وجهناه للمستجوبين عن مدي استغلالهم لطاقاتهم وقدراتهم الفكرية والبدنية مقدرة بالنسبة المئوية، تبين أن 33% منهم لا يستغلون إلا نصفها وأن 22,4% منهم لا يستغلون إلا الربع منها، و 12.3% يستغلون من طاقاتهم نسب أقل من الربع بمعنى أن ثلاثة أرباع من طاقاتهم مهدورة، وأن 22,4% يستغلون ثلاثة أرباعها (75%)، وأن 6.9% منهم فقط يستغلون كامل طاقاتهم (100%). هذا ما يؤكد وباعتراف الشباب أنفسهم أن قسما هاما من قدراتهم وطاقاتهم يضيع منهم دون أن يتمكنوا من استثماره واستغلاله فيما يفيدهم شخصيا ويجعلهم قادرين على تجاوز الصعوبات والعراقيل التي تعترض مساعيهم نحو بناء مستقبلهم وتحقيق طموحاتهم. ويؤكد هذا من جهة أخرى وعيهم بذلك، ما يزرع في نفوسهم الخوف وعدم الاطمئنان على مستقبلهم، ويعد هذا من عوامل استفحال ظاهرة الهجرة السرية بين الشباب نحو البلدان الأوربية التي يعلقون عليها آمال استدراك ما فات قبل فوات الأوان. كما أنها إحدى عوامل غضبهم وانتفاضاتهم خوفا على مستقبلهم الذي يضيع من بين أيديهم.

16- محمد بوخلوف، بوزيد صحراوي، مختار جعيجع، حورية سعدو، نعيمة نيار، رقية عدمان (2012)، الشباب والتربية: دراسة سوسيولوجية للمرجعيات التربوية وآليات التوفيق الاجتماعي للشباب، بحث جامعي((cnepru رقم: V00120060039، مخبر الوقاية والأرغونوميا، جامعة الجزائر2.

3 - القيم وفقدان المعايير

أول من تعرض لهذه الظاهرة هو (إميل دوركايم Emile Durkheim) توصل من خلالها إلى مفهوم فقدان المعايير(Anomie) الذي أصبح مفهوما أساسيا من مفاهيم علم الاجتماع، ومعناه تلك الحالات التي تضعف فيها المعايير أو تغيب تماما، عندما تصبح قواعد الضبط والمراقبة الشرعية فاقدة لدورها في المجتمع. وتبعه (ميرتون R.K.Merton) الذي يذهب إلى أن التعارض الذي يسود المجتمع يُنتج التوتر الذي ينتهي بفقدان المعايير ويؤدي إلى السلوك المنحرف. فبالنسبة لـ(دوركايم) يقود هذا الوضع إلى الانتحار الذي يعد كنمط من أنماط التجاوب. بينما يرى (ميرتون) أن التجاوب مع هذا الوضع يأخذ خمسة مواقف واتجاهات هي: الامتثال والتطابق، وإبداع مخارج ووسائل غير شرعية، والاكتفاء بالقناعة، والانسحاب والانزواء، والمقاومة والتمرد عندما تكون المؤسسات القائمة تشكل عائقا أمام إشباع الاحتياجات الشرعية. ويمكن تعريف فقدان المعايير بأنه "وضع اجتماعي يتميز بالشك أو اللا يقين والتفكك (Incohérence) أو التحول غير المبرر للقواعد الاجتماعية المألوفة في توجيه ومنح الشرعية للتصرفات الاجتماعية وطموحات الجماعات والأفراد في ذات الوقت"[17].

وتقترن ظاهرة فقدان المعايير بظاهرة التغيرات والتحولات الاجتماعية السريعة والعميقة وما يصاحبها من تذبذب في نسق القيم، مثل التحضر السريع والمفاجئ والعولمة والتكنولوجيات الجديدة واستحداث أنظمة جديدة غير مألوفة...إلى غير ذلك من التغيرات، وتعدد المراجع وتضاربها وعدم توحدها، فيختلط الأمر على الأفراد من حيث صعوبة تمييز الخيط الأبيض من الخيط الأسود. وهذا الوضع هو ما يعيشه شبابنا اليوم حيث التحول من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية وتراجع الأطر الاجتماعية التقليدية، وانتشار الفضائيات والانترنت والعولمة بمؤسساتها وأنظمتها ووسائلها كل ذلك أنتج وضعا اجتماعيا وثقافيا معقدا مليئا بالتناقضات يُنتج حالات من فقدان المعايير وحدوث الانحرافات.

وقد ازدادت مظاهر فقدان المعايير وما يترتب عنه من صراع في مجتمعنا، مع التحول نحو اقتصاد السوق الذي دفع بالشباب إلى الانخراط في عملية التحول هذه من خلال لجوئه إلى العمل الحر لا بصفته عاملا فحسب بل بصفته مقاولا موفرا لنفسه ولغيره مناصب العمل في إطار سياسة دعم تشغيل الشباب ومنح القروض لخلق المنشآت الشبابية، ولا يتسنى له ذلك إلا بالاقتراب من الهيئات المعنية بذلك من وكالات التشغيل ومؤسسات التمويل والمرور عبر

17- Lugan Jean-Claude ,op.cit.ch.5.

قنوات إدارية كثيرة ومعقدة تتميز ببيروقراطية خانقة تفتح المجال واسعا للفساد من محسوبية ورشوة ووسطاء وغيرها والتي أفرزت قيما شائعة خاصة بها، وهي جميعها تتعارض مع القيم الأخلاقية المثالية للشباب التي تلقنها في مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

4 - موقع القيم الإسلامية من رأسمالية القيم البروتستانتية وفعالية القيم الآسيوية

1.4 - رأسمالية القيم البروتستانتية

منذ أن حاول (ماكس فيبرMax Weber) في كتابه الأخلاق البرتستنتية وروح الرأسمالية أن يبرهن على دور القيم التي تحملها البرتستنتية في إنتاج الرأسمالية الغربية، والغرب يسعى لأن يجعل منها القيم العالمية والتأكيد على عدم صلاحية غيرها للتحديث والتصنيع والتقدم والتطور، وجاءت بعدها أطروحات كثير تؤكد هذا الاتجاه نذكر منها على سبيل المثال: أطروحة الثقافة المصنِّعة والثقافة غير المصنِّعة، باعتبار الثقافات الأخرى غير الغربية هي ثقافات غير مصنِّعة، والثقافة المصنِّعة هي الثقافة الغربية بجميع مضامينها وأدواتها من إدارة وغيرها. وإيمانا واقتناعا بهذه الأطروحات حاولت بعض البلدان المتخلفة السير في استيراد هذه القيم واستبدالها بالقيم المحلية. وأقرب تجربة تنموية يستدل بها في هذا الميدان هي التجربة الصناعية التي تمت في (كوت ديفوار Côte d'Ivoire) (ساحل العاج)، والتي أدت إلى تفكيك المجتمع وإدخاله في أزمات اجتماعية متعددة الأبعاد وحرب أهلية غير متناهية، دون أن تقدم له حلولا واضحة لتخلفه الاجتماعي والاقتصادي ودون أن تحقق التنمية الصناعية المنشودة، وهذا حسب النتائج التي توصلت إليها الدراسات التقييمية التي تمت حول هذه التجربة[18].

وخلاصة الفكرة التي تأسست عليه هذه التجربة[19]، أن (كوت ديفوار) المستقل عن الاحتلال الفرنسي عام (1960)، ومن أجل الإسراع في تصنيع البلاد، حاول استبدال الثقافة الوطنية بجميع مقوماتها ومكوناتها بالثقافة الغربية، أي محاولة

18- Aujac Henri (janvier-février,1983). Culture nationale et aptitude à l'industrialisation, revue d'économie politique, n°1, p.p.23-25.

وللاستزادة في هذا الموضوع أنظر:

- Sidiki Diakite(1985). Violence technologique et développement :La question africaine de développement ,L'harmattan ,Paris.
- محمود بوسنة (1986). الأرغونوميا والتنمية في العالم النامي. المجلة الجزائرية لعلم النفس وعلوم التربية، عدد 2، ديوان المطبوعات الجامعية، ص35-30.

19- Aujac Henri ,op.cit.p.23-25.

إحلال أنماط الحياة الاجتماعية والثقافية الغربية محل أنماط الحياة الاجتماعية والثقافية المحلية، وذلك انطلاقا من فرضية مؤداها: أن الثقافة الوطنية هي ثقافة غير مصنِّعة وتعرقل عملية التصنيع، على عكس الثقافة الغربية. وهذا حسب الدراسة المقارنة التي أجراها (أوجاك هنريAujac Henri)[20] بين أربع بلدان هي: (اليابان وفرنسا والبرازيل وكوت ديفوار).

2.4 - فعالية القيم الآسيوية

ومع أن الآسيويين لا تجمعهم قيم واحدة وإنما قيم تنتمي لمعتقدات متباينة مثل: الهندوسية والبوذية والكنفشيوسية وحتى الإسلامية، إلا أنهم يفضلون ويحبون أن يميزوا أنفسهم لتفسير النجاح الاقتصادي الآسيوي، فيذهب (كاكوان يو) رئيس وزراء سنغافورة السابق إلى "أن الثقافة الآسيوية التي تؤكد على طاعة سلطة الجماعة والاجتهاد والأسرة والتوفير والتعليم كانت حاسمة وحيوية للنمو الاقتصادي السريع غير المسبوق في آسيا بعد الحرب العالمية الثانية"[21]، كما روَّج (مهاتير محمد) رئيس وزراء ماليزيا السابق لفكرة تفوق القيم الآسيوية[22].

فبعدما تمكنت هذه البلدان من التكنولوجيا والتقدم الاجتماعي خارج نطاق القيم الغربية حاول هؤلاء المفكرون- الساسة أن يقدموا تفسيرا وترويجا في ذات الوقت لتفوق القيم الآسيوية بتحقيق التقدم التكنولوجي في نطاق القيم المحلية، ودحض الأطروحات الغربية القائلة بـ/لا تقدم يحدث خارج القيم الغربية، وأصبحوا يميزون أنفسهم كآسيويين وليس كشرقيين. خاصة بعد الصعود المذهل للنمور الآسيوية والتحكم في التكنولوجيا وتطوير أنظمة اجتماعية في ميدان التنظيم والإدارة والعلاقات الاجتماعية، مستوحاة من مخزونها الثقافي والقيمي كما يتجلى ذلك في الشكل (M) بالنسبة لعمل المرأة مثلا، وهو ميل الشابات في كل من كوريا واليابان إلى "دخول سوق العمل في مجال الصناعات الخفيفة أو وظائف الخدمات، ولكنهن يتركن العمل في منتصف العشرينيات للزواج وتربية الأطفال ثم يعدن إلى العمل مرة أخرى عندما يكبر أطفالهن[23]"، وذلك في ظل تناغم قوانين وأنظمة العمل مع القيم الثقافية، حيث أن ما يعد تمييزا جنسيا في ميدان العمل في البلدان

20 - Ibid .P.15.

21- فرانسيس فوكوياما (29 يناير 2000). الانهيار العظيم: الطبيعة الإنسانية وإعادة بناء النظام الاجتماعي. عرض: عامر سلطان تحت عنوان: "ملفات القرن العشرين"، جريدة الخليج الإماراتية، العدد 6474، ص 12.

22- نفس المرجع، ص 12.

23 - نفس المرجع، ص 12. وللمزيد حول قانون العمل ومعاييره بالنسبة للمرأة أنظر نفس المرجع، ص ص13-12

الغربية لا يعد كذلك عند نساء هذه البلدان[24].

هذه الحقائق فرضت على رجال الفكر الغربيين مراجعة الأطروحات القديمة بخصوص العلاقة بين القيم والتقدم والتأخر، فهذا ما نلمسه – على سبيل المثال– في العمل الذي قدماه (هوفستيد قيرت وبولينجر دانيال) حول العلاقة بين الثقافة وإدارة الأعمال اللذان يؤكدان فيه محدودية مصداقية النظريات حول التنظيم وحول إدارة الأعمال المستمدة من الرأسمال الفكري لأمة واحدة[25]، إذ يوجد –حسب رأيهما– تنوع في طرائق التنظيم والتحفيز وتسيير الرجال حسب البلدان[26]. فيذهبان إلى أن حجر الزاوية التي أسس عليها المؤلفون نظرياتهم كانت هي أن إدارة الأعمال سوف تكون نشاطا قائما على مبادئ عالمية، وسوف تكون مبادئ لإدارة قويمة بعيدا عن البيئات الوطنية. وإذا كانت الممارسات الوطنية أو المحلية مختلفة يجب تعديلها.

وحسب هؤلاء المؤلفين – في رأي هوفستيد وبولينجر دائما – فإن عالمية الممارسات لإدارة صحية سوف تقود في المستقبل وشيئا فشيئا إلى مجتمعات متماثلة. وهكذا، ستأخذ البلدان النامية بعد تحولها بهذه الأساليب السائدة في البلدان المتقدمة، ونفس الأمر سوف يحصل بالنسبة للبلدان الاشتراكية. وأن هذا النمط من التفكير الذي ساد خلال الخمسينيات والستينيات يقوم على فرضية: التلاقي أو الالتقاء[27]. وهكذا يخلصان من محاولتهما هذه إلى أن أفضل تعريف للثقافة هو ذلك الذي يؤكد على أنها في جوهرها: برمجة عقلية جماعية.

ومن ثم يقترحان التعريف التالي للثقافة: هي البرمجة الجماعية للروح الإنسانية التي تمكن من تمييز أعضاء فئة من الناس عن غيرها من الفئات[28]. ويعترفان بأن هذا التعريف يبقى غير كامل لكنه يغطي المراد مما هو مقصود في هذا الشأن.

3.4 – القيم الإسلامية والحاجة إلى التفعيل

الجميع يدرك أن القيم الإسلامية تدعو للإنجاز والجودة والوفاء بالوعد والصدق وأداء الأمانة والحزم والعزم وإتقان العمل، ونبذ الزور والكذب

24 – أنظر نفس المرجع، ص 12.

25– Bollinger Daniel ,Hofstede Geert ,Les différences culturelles dans le management ;comment chaque pays gère-t-il ses hommes ?Les Éditions d'organisation. p.13.

26– ibid ,p13.

27– Ibid .p15.

28Ibid .p.27.

والبهتان والفساد والتبذير... وربط كل ذلك بدرجة الإيمان وما يقابله من ثواب وعقاب، كما توجد قيم أخرى كثيرة مشتقة منها، حيث لا نكاد نجد قيمة في حياة المسلمين إلا ولها اشتقاق وامتداد في الدين نفسه أي العقيدة الإسلامية. غير أن واقع الحال يؤكد التهاون واللامبالاة وتدني الأداء وعدم الالتزام وقلة تحمل المسئولية، فما سبب هذه القطيعة بين القيم الإسلامية وواقع المجتمعات الإسلامية؟ فعدم تفعيل القيم الإسلامية في حياة الناس وفي كافة المستويات أمر واضح، فما يعيشه الفرد المسلم على مستوى المثل شيء وما يعيشه على مستوى الواقع شيء آخر، فينعكس ذلك على حالته النفسية حيث يعيش حالة تأنيب ضمير مستمر سببته تلك القطيعة، بالإضافة إلى ما يقابل قلة الإنجاز من تدني في مستوى معيشته وفي توفيقه ونجاحه الاجتماعي، الأمر الذي قد يدفعه للوقوع في الفساد؛ لإشباع احتياجاته تحت غطاء القيم الشائعة. وهذا الأمر يُشعر الشباب بإحباط كبير؛ عندما يشاهد الأمم الأخرى تتقدم وتفرض مكانتها بين أمم العالم وأمته لا مكان لها وتعيش الفقر والقهر والاستغلال والهيمنة الأجنبية والتدخل في شؤونها دون مقاومة.

فقلة تفعيل القيم الإسلامية تعني أنها لم تحول إلى إجراءات عملية باستحداث واستنباط أنظمة قادرة على تجسيدها عمليا طبقا لروحها ومحتواها، كما تعني من جهة أخرى بقاءها كأحكام كلية عامة غير مترجمة إلى إجراءات عملية دقيقة ملموسة تسري على كافة يوميات الإنسان المسلم، وهكذا تجد حياته مليئة بالتناقضات، فعلى مستوى القيم والمثل يعيش في الكليات والأحكام العامة وعلى مستوى الممارسة اليومية يعمل بما طورته الثقافات الأخرى من إجراءات المستمدة من روحها وليس من روح القيم الإسلامية التي يعيشها المسلم على مستوى المثل. بمعنى يتكلم بكليات القيم الإسلامية ويعمل بالجزئيات والقواعد المطورة عن قيم أخرى.

وبشأن التجزيئية والكلية في قواعد المعاملات والممارسات في حياة المؤسسة تتباين الشعوب وتختلف اختلافا بينا، كما يوضح ذلك (دونالد كالف Donald Kalff)[29] عند مقارنته بين الحالة الأمريكية والحالة الأوربية. فبالنسبة للحالة الأولى فإن المبدأ والقاعدة العامة التي تحكم الفعل وتقيده في ميدان المؤسسة هو القانون والعقد الواضح البنود، بينما في الحالة الأوربية هو مبدأ الالتزام (Engagement) وحسن النية (La bonne foi)، والفرق بين الحالتين واضح وكبير، ففرق بين العمل بالمعايير المقننة والمضبوطة التي تحدد لكل فعل مقابل إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وترك كل شيء لحسن النية والضمير،

29- Donald Kalff ,(2005) L'entreprise européenne :La fin du modèle américain ,Vuibert ,Paris ,p.p.212-215 .

ويقدم أمثلة عن النتائج التي قد تكون مدمرة للعمل بقاعدة حسن النية في المعاملات.

فأنظمة العمل غير المشحونة بالحوافز المتوافقة مع الطبيعة البشرية أو التي تسبح في الغموض والإبهام في ميدان الاستحقاق والمكافأة أو التي تحاول أن تسوي بين البشر الذين هم بطبيعتهم غير متساوين في القدرات والإرادات، لا نتوقع منها الإنجاز المتفوق. أما الإتقان؛ فدوره مرتبط بقواعد الإنجاز من حوافز وطموح ورغبة في التفوق والحصول على مقابل ذلك التفوق. ومن ثم فإن ترك الأمور في ميدان الإنجاز والإتقان للضمير وحسن النية غير المقننة يصير وبالا. وينسحب هذا على كافة مجالات الحياة وممارساتها اليومية في حياة الإنسان.

5 - صراع القيم لدى الشباب الجزائري ومظاهره

صراع القيم لدى الشباب لا يتعلق بقيم الهوية الدينية والوطنية والتاريخية ومكوناتها، وإنما يتعلق بالقيم العملية والممارسات اليومية في المجالات الاقتصادية والإدارية، فيما أصابها من انحرافات وفساد ورشوة ووساطة وخضوع وتزلف وتملق، وغيرها من التصرفات التي تتعارض مع القيم المثالية والأخلاقية وتأباها النفس الإنسانية في عزتها وكرامتها.

1.5- قيم التنشئة

قيم الشباب هي إنتاج اجتماعي، إنتاج التنشئة الاجتماعية الأسرية والمدرسية والمسجدية والإعلامية وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمع، فهي التي تصنع هويته الثقافية والقيمية منذ اللحظات الأولى من ولادته إلى أن تصبح جزءاً من كيانه الاجتماعي- الثقافي فيما يعرف بالملكة والمألوفات والعوائد عند ابن خلدون، والأبيتوس Habitus)) عند بيير بورديو(Bourdieu Pierre)، والسريرة (Tréfonds) عند كارل مانهايم (Karl Manheimm)[30].

فكارل مانهايم يعتقد بأن السريرة أو الملكة (Tréfonds) هذه التي تشكلت وأدمجت في الكائن الإنساني خلال المراحل الأولى من حياة الشاب بفعل تأثيرات الوسط، والتي هي الجزء الأكثر قِدَما في وعيه، وبصفتها هذه، فإنها تميل لتترسخ كصورة طبيعية عن العالم، وتتجه للاستقرار. وهو نفس المعنى لمكونات الابيتوس (Habitus)عند بورديو، الذي يعتقد أن المكونات الأولى

30 -Karl Manheimm (1990), Le problème des générations, traduction de l'Allemand par: Gérard Mauger ET Nia Perivolaropoulou. Nathan, p.p.86-115.

تُعد البنية التحتية المكتسبة التي تتوقف عليها البنيات العلوية أو الفوقية اللاحقة. فيذهب إلى أن منطق مكوناته تجعل من الأبيتيس حزمة كرونولوجية منتظمة من البنيات، بحيث أن بنية صف محدد التي تميز بنيات الصف السفلي التي هي السابقة عموما، تهيكل البنيات العليا، فيذهب إلى أن (الأبيتوس) الأول الملقن بالعمل البيداغوجي هو المبدأ الذي يتأسس عليه الأبيتوس اللاحق، ويستدل بلغة الأم المكتسبة والتعاملات اللفظية للعلاقات الأبوية[31]، كما يستدل مانهايم بنتائج أبحاث اللغة التي ترى بأن اللغة اليومية واللهجة بالنسبة للفرد لا تتغير بعد سن 25 من عمره[32].

وهو الأمر عينه الذي سبق وأن شرحه ابن خلدون بخصوص اكتساب الملكات، فما ترسخ واستقر في الصغر يستمر مع صاحبه ويصعب إزاحته في الكبر. فبشأن ملكة اللغة أكد على أنه إذا سبقت إلى النفس الإنسانية ملكة تصبح جزء من طبيعة الشخص، ونفس الأمر يؤكده بشأن الصنائع، إذ يقول: "...والسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس وألوان، فلا تزدحم دفعة. ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها. فإذا تلونت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة، فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف. وهذا بين يشهد له الوجود"[33].

وهكذا تعد الأسرة الوسط والمكان الأول الذي يتلقى فيه الشاب التعاليم المعاملاتية المستمدة من العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية تدعمها فيما بعد المؤسسات الأخرى من مدرسة ومسجد وإعلام وغيرها. وفي دراستنا حول الأسرة والتربية[34]، تبين أن الأسرة تحرص على تلقين قيم معينة لدى النشء في تربيتها والتي تعكس قيمها أي القيم التي تؤمن بها.

لقد شملت هذه الدراسة عينة تتكون من 754 أسرة أخذت بالطريقة الطبقية العشوائية المنتظمة من خمس مناطق جغرافية من مدينة الجزائر (العاصمة) عن طريق تلاميذ السنة الثانية لست مؤسسات تعليمية للتعليم الثانوي لكافة الشعب، وكافة فصول السنة الثانية لأربع مؤسسات تعليمية للتعليم المتوسط

31- Ibid .p103..

32 -Ibid. p. 55

33 - عبد الرحمان ابن خلدون، مرجع سابق، ص ص 488-487.

34 - محمد بوخلوف، بوزيد صحراوي، محمد الرءوف القاسمي الحسني، مختار جعيجع، حورية سعدو (2008)، الأسرة والتربية: دراسة سوسيولوجية لأثر الضغوط الحضرية على الوظيفة التربوية للأسرة، بحث جامعي((cnepru رقم: v1601/05/2003 ، مخبر الوقاية والأرغونوميا، جامعة الجزائر2.

(الإعدادي)، ولقد أملت هذا الإجراء المنهجي إشكالية الدراسة وفرضياتها، باعتبار أن الأسرة التي بلغ أبناؤها هذه المرحلة التعليمية تملك من الخبرة التربوية ما يمكنها من التعبير عن مواقفها واتجاهاتها التربوية والصعوبات التي تواجهها في تحقيق طموحاتها وغاياتها، بغض النظر عن نوع تلك الطموحات التربوية، وقد عمدنا إلى أخذ العينة بنسبة 50% من المجتمع الأصلي بغرض تحقيق هدف التمثيل قدر الإمكان. وبما أنها مستخرجة من القوائم الرسمية للأقسام الدراسية فقد اعتمدنا على الأرقام الفردية وبصفة منتظمة كما يلي: 1، 3، 5، 7 وهكذا إلى نهاية القائمة من كل قسم بالتوزيع على مقاعد الدراسة وهذا تجنبا للتحيز ولحساسية التلاميذ وأوليائهم من الدراسة.

وبما أن قيم الأسرة ونماذجها التربوية تتمثل في المنهج الحياتي الذي ترغب فيه وترسمه لأبنائها وتعمل على تحقيقه قدر المستطاع، فإن النماذج التي اقترحتها الأسر المدروسة تعكس توجهاتها وتصوراتها ورغباتها وآمالها أكثر مما تعكس ربما واقعا محددا. حيث وجهنا- في إطار هذه الدراسة - مجموعة من الأسئلة إلى الأسر المستجوبة التي هي عبارة عن تفضيلات تتعلق بالجماعات التي تعتقد أنها تدعم التربية المرغوبة لأبنائها، وفئة الشخصيات القدوة للأبناء، ومدى حرصها على غرس قيم معينة فيهم ونوعها وأسلوب التأديب الذي تتبعه لتقويم سلوك أبنائها ... فتبين ما يلي:

- (61,3%) من الأسر المبحوثة يفضلون جماعة المسجد لأبنائهم ليكونوا قدوة لهم في تربيتهم، فباختيارهم لهذه الجماعات يمثل اختيارهم للقيم التي يعتقدون أنها تحملها هذه الجماعات واعتقادهم أيضا في سلامة وقوامة سلوكها أي رضاهم عموما عليها.
- و(66,84%) يرون أن الشخصيات النموذجية المفضلة كقدوة لأبنائهم تتمثل في الشخصيات الناجحة علميا وبفارق كبير جدا عن الشخصيات الناجحة ماديا (21,48%) وسياسيا (6,76%).
- وأن (84,08%) يحرصون على نقل القيم الإسلامية لأبنائهم وبفارق كبير عن القيم التقليدية (45,49%) والقيم العصرية (30,50%).
- وتنبثق عن هذه القيم قيم أخرى هي قيم مدنية تتمثل في قيم احترام الغير والمدرسة والمعلم وطاعة الوالدين التي يرونها تمثل نموذجا للتربية الناجحة.

ويمكننا أن نستخلص أنه مع التغيرات المتسارعة في كافة مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسة، ومع ما يشاع عن التغير في القيم، إلا أن ذلك بقي على مستوى الشكل والمظهر ولم يخترق الجوهر والعمق، فالأسرة مازالت تحرص على غرس القيم والمعايير التي تؤمن بها والراسخة

في المجتمع، وفي مقدمتها القيم الإسلامية مهما اختلفت الأسر في تحقيقها لذلك بسبب الصعوبات والمعوقات الكثيرة. فالأسرة لم تفقد مرجعياتها ولا أهدافها التربوية مع ما تتعرض له من ضغوط كثيرة تعيقها على أداء وظيفتها التربوية كما ترغب.

2.5 - ترتيب القيم عند الشباب

تؤكد جميع البيانات التي تناولت موضوع القيم أن الشباب يملك تصورا واضحا ودقيقا نحوها وهي مرتبة لديه مهما كانت درجة امتثاله لها، وهي القيم الدينية والقيم الأسرية والقيم التقليدية والقيم الوطنية، وهذا ما أكدته النتائج التي توصلنا إليها في الدراسة حول الشباب والتربية (السابقة الذكر)[35]. فجميع البيانات الخاصة بترتيب القيم عند الشباب تؤكد احتلال القيم الدينية المقدمة والرتبة الأولى، وهذا يتطابق مع قيم الأسرة في التنشئة والتربية المبينة فيما سبق، فالشباب إذن يعكس تماما التوجهات التربوية للأسرة، يتجلى ذلك في شروط التعامل مع المؤسسات المالية وهي عدم القبول بالربا مثلا، وفي ترتيبهم لمعايير اختيار الشريك في الزواج التي يأتي في صدارتها الدين، وفي السعادة الحياتية التي تأتي في مقدمتها إرضاء الله ثم إرضاء الوالدين، وفي القيم المفضلة في تربية النشء (أبنائهم) مستقبلا المتمثلة في القيم الدينية. نذكر من هذه النتائج ما يلي:

القيم الدينية: يرى الشباب المستجوب وبنسبة 81,6% أن الدين وأوامر الشرع هو المرجع لسلوكهم وفعلهم وتصرفاتهم. ويؤكد ما نسبته 94,1% على ضرورة منح مكانة عالية للقيم الدينية في المجتمع، و95,4% منهم يؤكدون على ضرورة أن يعمل الناس بمبدأ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وهو قيمة أكد الشباب على أهميتها في الحياة العمومية. وبخصوص هذه القيمة فقد عبر الشباب، في المقابلات الجماعية البؤرية[36] التي أجريناها معهم، عن المشاكل الكثيرة التي يواجهونها في الشارع والخشونة المفرطة في المعاملات إلى حد العنف الذي يمارسه الشباب بعضهم على بعض خاصة المراهقين منهم، وللعنف هنا أشكال مختلفة، ناهيك عن الانزعاج من التصرفات المنافية للأخلاق، التي أصبحت تمارس في الشوارع دون التقيد والالتزام بالحياء العام.

- القيم الاجتماعية: أكد ما نسبته 94,3% من الشباب المستجوب على ضرورة

35 محمد بومخلوف، بوزيد صحراوي، مختار جعيجع، حورية سعدو، نعيمة نيار، رقية عدمان (2012)، الشباب والتربية: دراسة سوسيولوجية للمرجعيات التربوية وآليات التوفيق الاجتماعي للشباب، مرجع سابق.

36 -شملت المقابلات الجماعية 70 شابا وشابة عبر ست مقابلات مع شباب الجامعة، وجامعة التكوين المتواصل، والتكوين والتعليم المهنيين، والشباب العامل في إطار سياسة عقود ما قبل التشغيل، والمقاولين المستفيدين من قروض الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب ((Ansej.

التمسك بقيم الطاعة والحياء والحشمة وأنها غير "بالية بل لازالت حية وغير ميتة"، مما يفيد أن الممارسات المنافية للأخلاق التي تفشت في المجال العمومي هي من قبل الشباب المنحرف ولا تعبر بأي حال عن عموم الشباب.

– القيم الوطنية: كما عبر الشباب عن تمسكه بقيمه الوطنية من خلال اعتزازه وافتخاره برموزه التاريخية مثل المجاهدين والشهداء والنشيد الوطني والعلم الوطني، وبلغت المعاني الإيجابية التي أخذتها هذه الرموز لديهم نسبة عالية وصلت في بعضها إلى أكبر من 80%، ولم تتجاوز المعاني السلبية نسبة 2% فيما عدا بالنسبة للمجاهدين فقد بلغت نسبة 4%، وهذا رغم ما تعرضت له هذه الفئة من تشويه في العقدين الأخيرين.

3.5 - القيم الشائعة

وهي تلك القيم التي أفرزها الواقع وأصبحت شبه مألوفة بين الناس ومعروفة. ومن هذه القيم الشائعة الواسطة والتوسط وتبادل المنافع عبر مناصب المسئولية الإدارية والمحسوبية وحتى تعاطي الرشوة. وأن بعض هذه القيم نابع من الثقة المبنية على العلاقات الشخصية بين الناس التي تسهل عملية قضاء الحاجات الإدارية بسهولة ويسر الأمر الذي شجع على بناء هذه الشبكة من العلاقات وامتلاكها ومن لا يملكها نُعت بالضعف أو العجز والفشل. فهي قيم شائعة بين الناس بما تحمله من سلبيات وإيجابيات. وهي عند البعض تعد متعارضة مع القيم المثالية والأخلاقية والأعراف، وعند البعض الآخر تعد مقبولة ولابد منها، فهي تعتبر عادية لا حرج في ممارستها والجهر بها؛ بل والافتخار بها أحيانا تعبيرا عن امتلاك القوة والنفوذ عند التمكن من تحقيق بعض الأهداف من خلالها.

فالواسطة والمحسوبية والجاه والقوة والنفوذ أصبحت قيما معترفا بها ولا مجال للتستر في العمل بها، وأصبح مألوفا للجميع عند الرغبة في قضاء حاجة من الحاجات في أي جهة إدارية البحث أولا، وقبل الذهاب إلى تلك الجهة، عن أسماء معروفة فيها أو عن أسماء لديها علاقة بالنافذين فيها. وأن لا فائدة من الشخص المتعفف عن تلك الممارسات. فالقيم الشائعة فرضها الواقع ومنحها الشرعية والمعقولية والقبول. وهذا بعدما كان من قيم الناس التعفف والترفع عن التذلل واحتقار المتذللين المتزلفين، سمتهم الأنفة والعزة وعدم الرضوخ أو البوح بالضعف والجهر بالحاجة وترك ما للغير للغير. هذه قيم سادت وكانت وولّت، ومن يسير عليها ويتمسك بها اليوم يعد في عداد

المتخلفين الذين لم يسايروا عصرهم[37].

القيم الشائعة هي قيم مبتذلة لا يجد الناس حرجا في الجهر بها بل والتباهي بفوزهم بمكاسب عن طريقها فذلك دليل- حسبهم- على تفوقهم وقدرتهم وذكائهم، أما المتعففين عنها فدليل على غفلتهم وعلى جمود وتحجر عقولهم وحتى غباوتهم. ومن جانب آخر؛ لا يتردد أصحاب السلطة في وظائفهم في ممارستها وعُد ذلك من مستحقاتهم مقابل التسهيلات التي يقدمونها لذوي الحاجة، فلولاهم - حسبهم- لما حصلوا عليها؛ فهم إذن أحق بتقبل المقابل العيني أو الرمزي أو تقوية نفوذهم.

ومهما كانت مبررات شيوعها وقبولها فإنها لا ترقى لأن تكون قاعدة صحيحة للسلوك الاجتماعي في مجتمعنا ولا لنموه وتنميته؛ بل تبقى من قيم التخلف وليست أبدا من القيم الباعثة على التقدم والتطور والإنتاج، فهي تنمي الكسل وعدم الجدية والابتزاز وانتهاج السبل الملتوية التي لا تزيد المجتمع إلا تدهورا وتخلفا لأنها، بكل بساطة، قيم "عقيمة" غير منتجة، ولا تحث على التقشف والادخار والمغامرة والمخاطرة والزهد وإتقان العمل و...الخ، التي تحدث عنها فيبر في القيم البروتستنتية وعزا إليها تطور الرأسمالية الغربية، ولا قيم الإتقان والإنجاز والالتزام التي ميزت النهضة اليابانية، ولا هي من قيم الصدق والأمانة والوفاء والإخلاص والحزم والعزم والكرامة ... النابعة من العقيدة الإسلامية.

4.5 - صراع القيم عند الشباب

يتجلى الصراع عند ما يحدث التعارض بين ثلاثة جوانب في حياة الشباب هي: القيم والحاجات والوسائل. وبمعنى أوضح بين: القيم والمثل والمعايير المقبولة والمفضلة في المجتمع من ناحية أولى، والحاجات التي تعني طموحاته من أجل تحقيق النجاح الاجتماعي من ناحية ثانية، والوسائل المؤدية إلى كل ذلك من ناحية ثالثة. وينقسم الشباب في سبيل التوفيق بين هذه التعارضات إلى ثلاث فئات بارزة هي:

-فئة الشباب المنغمس الخائض مع الخائضين، يركب الموجة ويعمل بالقيم الشائعة دون أن يجهد ذهنه كثيرا، لا تحكمه سوى المنفعة يعيش قيمها بلا

37 أنظر:
فهمي هويدي (2006)، عن الفساد وسننه، دار الشروق، القاهرة، ط 1.
مصطفى عشوي، بيتر سميث، محمود بوسنة، عبد الله الأمين، جميلة السيار (2011)، "الواسطة والفساد في إدارة المال والأعمال: دراسة إقليمية مقارنة"، مجلة أفكار وآفاق، العدد1، جامعة الجزائر2، ص ص54-33

حدود ولا قيود.

- فئة الشباب الاستراتيجي المناور، لا يبدي ما يخفي و يخفي ما لا يبدي، دائم البحث عن البدائل المقنعة والمبررات التي يجد فيها مخارج شرعية لفعله مقبولة في الثقافة المرجعية، أو يضحي ببعض القيم إلى حين.
- فئة الشباب الثابت الصامد، المتمسك بالمبادئ لا تهمه النجاحات الشخصية بقدر ما تهمه مبادئه التي يحافظ عليها ولو كانت على حساب منافعه المادية ونزواته النفسية، فيسعى إلى إرضائها قبل إرضاء نفسه.

ثمة انتشار ظاهرة تجاوز معايير المجتمع وانتهاكها تعرف بظاهرة الفساد التي تعكس خللا ما في تنظيم وضبط العلاقات الاجتماعية، التي تكشف عن صراع عند الفرد والمجتمع، وأكثر ما يتجلى هذا الصراع عند تصادم القيم المثالية مع الواقع الحياتي الذي طغت عليه القيم الشائعة التي يتعارض بعضها مع القيم الأخلاقية والفضائل الإنسانية. ومن مظاهر ذلك الصراع ثلاثة: القبول بها مع عدم الرضا وتأنيب الضمير، أو القبول بها واعتبارها شيئا عاديا مادامت شائعة، أو عدم القبول بها مع ما يتسبب له ذلك في عدم تحقيق المراد.

وهذا ما أكدته نتائج دراسة الشباب والتربية المشار إليها فيما سبق، فعن سؤال مفاده: إذا تعارضت مبادئك (قيمك) مع قضاء حاجاتك كيف تتصرف؟ جاءت النتائج كما يلي:

- التمسك بالقيم والمبادئ مهما كان الحال بنسبة 63% وتمثل أغلبية الشباب المستجوب سواء بالنسبة للذكور (58,8%) أو بالنسبة للإناث (68%). وهذه الفئة تضحي بمصالحها في سبيل إرضاء قيمها ومبادئها.
- قضاء المصالح مع عدم الرضا بنسبة 25,7% وهذه الفئة هي التي تعيش حالة تأنيب ضمير مستمرة.
- قضاء المصلحة وعدم المبالاة بنسبة 8,5%وهذه الفئة هي التي تعمل بالقيم الشائعة وتخوض مع الخائضين، ومع ضعف نسبة هذه الفئة فإنها تعكس ما تحدثنا عنه فيما يخص القيم الشائعة.

أما عن سؤال آخر، مكمل للسؤال السابق، فحواه: هل تقبل بتقديم الهدايا مقابل تحقيق مصالحك في الجهات الرسمية؟ فكانت النتائج كما يلي:

- عدم القبول مهما تعطلت المصالح الشخصية ويمثلون الأغلبية بنسبة 61,5 %، هذه الفئة تعيش صراع التضحية بالمصالح.
- القبول مع عدم الرضا بنسبة 25 %، وهذه الفئة تعيش صراع تأنيب الضمير.

-القبول والرضا، أمر عادي، بنسبة 11,3 %، هذه الفئة تعيش صراع التضحية بالمبادئ والقيم.

فهذه النتائج تعكس بوضوح واقع الصراع القيمي الذي يعيشه الشباب بفئاته الثلاث، فهو في جميع الحالات يعيش حالة صراع وتناقض سواء ضحى بمصالحه أو ضحى بقيمه أو ناور بينهما.

5.5 - ازدواجية القيم والسلوك لدى الشباب كصورة من صور الصراع

إن قيم التنشئة تؤسس للسلوك الداخلي الذي يسلكه الشباب في حياته الأسرية وفي وسطه الاجتماعي الضيق، والقيم الشائعة تؤسس للسلوك الخارجي الممارس في المجال العام وفي الحياة العمومية، والقيم المثالية تؤسس للمثل العليا والمبادئ الأخلاقية الإنسانية السامية. وبالنسبة لحياة الشباب فكثيرا ما يتعارض الفعل والسلوك مع القول ولا يصدق العمل ما وقر في القلب، حيث تدفع ضغوط الحياة الشباب وشدة الحاجة ومجاراة الواقع، إلى تجاوز ما يؤمن به في سبيل إشباع حاجة من حاجاته الملحة، وذلك بسبب التعارض المتكرر والقوي بين الشروط الموضوعية للحياة من جهة، والشروط والمبادئ التربوية من جهة أخرى، كون أن الحياة الإنسانية تسيرها المبادئ وتخضع للضوابط الأخلاقية وحدودها وقواعدها.

وهكذا يتجلى صراع القيم لدى الشباب فيما يصدر عنه من أفعال وتصرفات في المواقف المختلفة، والمخرج لذلك الصراع هو أنه أصبح يحيا حياة تتميز بثلاثة أنواع من الازدواجيات، حسب ما توصلت إليه الدراسة السابقة، وهي كما يلي:

- **الازدواجية الأولى**: قيم الباطن وقيم الظاهر: وهو قولهم الإيمان في القلب وإن لم يصدقه العمل، حيث أصبح بعض الشباب يجاري الواقع في أفعاله ويتجاوب مع القيم الشائعة؛ فتجده يقترف ما لا يؤمن به وتجده يعيش تناقضا حادا في حياته إلى درجة تأنيب الضمير المستمر، وهذا ما جعله مزدوج الشخصية السلوكية.

- **الازدواجية الثانية**: قيم الداخل وقيم الخارج: فما يسلكه في بيته وما يرتضيه في أسرته شيء وما يمارسه خارج نطاقها في المجتمع شيء آخر، فسلوكه الخارجي يتركه عند عتبة الباب وهو يلج بيته كما يتركه، مرة أخرى، عند نفس العتبة حين خروجه إلى الشارع والبيئة العامة. هكذا صار متشبعا بصنفين من القيم ويتقمص شخصيتين مختلفتين، وهو بذلك يعيش تناقضات كبيرة في حياته، فهو يتصرف خارج أسرته ومحيطه الاجتماعي بتصرفات تختلف عن تلك التي يتصرفها في أسرته وأمام أقاربه وحتى عن تلك التي يؤمن بها،

وما يسلكه في المدينة لا يسلكه في قريته، وما يسلكه في حومته يختلف عما يسلكه وهو بعيد عنها، وهكذا.

ـ **الازدواجية الثالثة**: قيم الضرورة: وهو أن بعض الشباب أصبح لا يتوانى في تجاوز بعض القيم عند الرغبة في قضاء حاجاته، ويجد لذلك المبررات التي يقنع بها نفسه، ويبحث لها عن شرعية ثقافية تقيه تأنيب الضمير. ففي سبيل قضاء الحاجة الملحة يخضع للشروط الموضوعية الواقعية ويجد مبرراتها في شيوعها. وفي أوقات عدم الحاجة تجده ممتثلا للقيم تمام الامتثال.

وفي جميع الحالات تبين هذه الثنائيات الانفصام في الشخصية وعدم الثبات على المبادئ التي يعاني منها الشباب، وعدم قدرته على مواجهة الواقع بكل ثبات وقوة وافتخار، ولهذا تجده شديد التأثر بقيم الآخرين والأخذ بأساليبهم في التفكير وطرق الحياة، وينساق بسهولة نحوهم.

II- أزمة الثقة: من الصراع القيمي إلى الصراع الاجتماعي

تعريف الثقة

الثقة بناء معنوي اجتماعي نفسي يربط بين الناس الذين يساهمون جميعا في تشييده عبر مجموعة من العمليات التي يثبت كل طرف بواسطتها جدارته بالثقة وبأن يؤتمن سواء كان طرفا عاديا أو طرفا اعتباريا، ومن ثمة فهي مسعى يقتضي جهدا ووقتا من أجل اكتسابه وغاية الجميع، ولذلك فعند حدوث اختراق جدار الثقة فإن إعادة ترميمه يحتاج إلى وقت أطول من الأول من أجل استعادتها، أي يحتاج إلى مجموعة من العمليات المبرهنة على استرجاع الثقة، فالثقة إذن ليس من السهل اكتسابها وعند هدمها ليس من السهل أيضا استرجاعها. حيث يسهل هدمها لكن يصعب ترميمها، فهي على العكس من الأشياء المادية تماما.

وتعرف بأنها "الرصيد العاطفي الذي يمتلكه شخصان، والذي يعينهما على التوصل إلى اتفاق على أداء مصلحة الطرفين؛ فعندما يثق اثنان في بعضهما البعض، استنادا إلى جدارة كل منهما بثقة الآخر فيه، ستقودهما الثقة المتبادلة تلك إلى التعاضد المثمر فيما بينهما، والتمتع بحسن التواصل المبني على الشفافية والتعاون والمشاركة العاطفية والوجدانية"[38]. ويعرف (فرانسيس فوكوياما) الثقة بأنها: "التوقع أو الانتظار الذي يولد، في جماعة محلية، من

38- ستيفن آر. كوفي (2005)، القيادة المرتكزة على مبادئ، مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية، ط 1، ص 45.

سلوك منتظم؛ مستقيم ومتعاون مؤسس على معايير عامة مشتركة"[39].

ويذهب نفس العالم إلى أن الثقة هي "منتج قانوني مهم للأعراف الاجتماعية التعاونية التي تشكل رأس المال الاجتماعي. وفي حالة إمكانية الاعتماد على الأشخاص في الوفاء بالالتزامات وغير ذلك، فإن الجماعات سوف تتشكل بشكل مطرد. وهذه الجماعات سوف تكون قادرة على تحقيق الأغراض والأهداف المشتركة بشكل أكثر فعالية"[40]. ومن ثم يعتقد بأن أن الثقة هي مفتاح المرور إلى الروابط الاجتماعية الحديثة بعيدا عن الروابط العصبية والتقليدية.

وإذا كانت التناقضات القيمية وفقدان المعايير مصدرا للصراع القيمي لدى الشباب، فإن فقدان الثقة في الأفراد وفي الجماعات والمؤسسات هي مصدر لانتشار الشك والخوف وعدم الأمان وبالتالي فهي منبع أساسي من منابع الصراع الاجتماعي في المجتمع، ومثير لتوتر العلاقات الاجتماعية بسبب الشك الذي يسري في النفوس وعدم التصديق والخوف من الزور والتزوير، فتصبح الحياة عندئذ قائمة على الشك في كل شيء وعدم الاطمئنان إلى كل شيء.

لقد تعرضت "الثقة" الفردية والجماعية والمؤسساتية في المجتمع الجزائري إلى تصدعات وانهيارات عبر التاريخ وما أن تُبنى في مرحلة تُقوض في أخرى، إلى أن ترسَّخت ثقافة الشك والخوف وشاعت في الجميع، وبالمقابل عزز هذا الوضع الثقة القائمة على العلاقات والروابط الأولية بجميع أشكالها، وعلى رأسها الروابط الدموية، والعلاقات غير الرسمية ومن ثم تطوير العلاقات الشبكية القائمة على المصالح وتبادل المنافع. ولهذا الوضع جذور تاريخية سببه البطش والقهر الذي عرفه المجتمع عبر تاريخه مع الاستعمار الفرنسي غير البعيد، فأزمة الثقة مرتبطة بالاستبداد والقمع والقهر، ومما زاد من تعميقها الظروف المؤلمة التي مرَّ بها المجتمع الجزائري في العقد الأخير من القرن الماضي، إلى أن أصبح الشك والخوف متغلغلين في النفوس حتى في علاقات القربى.

39- Sophie, Ponthieux (2006). Usages et mésusages du capital social ,in: Antoine Bevort, Miche Lallement :Le capital social:÷Performance, équité, et réciprocité. La Découverte, M.A.U.S.S .Paris ,p.97.

40 – فرانسيس فوكوياما، مرجع سابق، ص 7.

2. الظلم والثقة

يعد الظلم من معاول هدم الثقة، وللظلم أبعاد وممارسات عديدة وليس كما يُعتقد بأنه الاعتداء المادي أو المعنوي المباشر، وقد عرَّف ابن خلدون ودقق معناه على النحو الآتي: "ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم أعم من ذلك. وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق، أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه، فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغصاب الأملاك على العموم ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهابه الآمال من أهله"[41].

ففي هذا التعريف ركز ابن خلدون على ظلم الحاكم عبر أجهزة حكمه مهما كان حجمها، وأثر ذلك بلغة اليوم هو زوال الثقة بين الحاكم والمحكوم وبين المواطن والإدارة، وينعكس آثار الظلم على الدولة ذاتها بخراب العمران، حسب قوله، وذلك بانكماش أيدي الناس عن السعي لما يتوقعونه من سطو على ثمرة أعمالهم بأشكال مختلفة، وإذا قلت الأعمال وتراجعت تراجعت معها الجباية والضريبة التي هي مصدر الخزينة العمومية وتمويل الدولة، وهذا عين ما ذهبت إليه الأطروحات الأكثر حداثة من أن الثقة في المجتمعات تقاس بمدى انتشار المؤسسات الكبيرة. وخلاصة هذه الأطروحات أنه توجد علاقة ارتباط بين التنمية والتقدم من ناحية والثقة من ناحية أخرى[42]. ذلك أن الخطر الأكبر للظلم يكمن في وأد المبادرة بالقضاء على الثقة، الثقة العمودية بين المواطن ودولته ممثلة في مؤسساتها، والثقة الأفقية بين المواطن وغيره من المواطنين، حين يسود مناخ مليء بالريبة والشك والخوف.

3. عوامل وأبعاد أزمة الثقة

لأزمة الثقة في المجتمع الجزائري ثلاثة عوامل وأبعاد أساسية هي:

ـ العامل أو البعد التاريخي: ويتمثل في ما خلَّفه بطش المستعمر من رواسب في الثقافة الشعبية والذاكرة الجماعية. وهذا العامل أسس لثقافة قائمة على

41 - نفس المرجع، ص 350.

42 - من أجل المزيد حول هذه الأطروحات أنظر:

-Robert D.Putnam" .Bowling Alone:÷Le déclin du capital social aux Etats-Unis "in Antoine Bevort ,Michel Lallement)sous la dir.de .(op.cit .p.p.35-50.

-sophie ponthieux .Op.cit .p.p.90-104.

الشك والخوف من الآخر ومن المجهول، تراكمت مدة قرن واثنتين وثلاثين سنة من الوحشية والغدر والهمجية عاشها السكان الجزائريون.

ــ العامل أو البعد الأمني: ويتعلق الأمر بالاضطرابات السياسية والاجتماعية التي عاشتها الجزائر في التسعينيات من القرن الماضي الموسومة بالعشرية السوداء أو الحمراء، ففي أثناء هذه الفترة هبط مستوى الثقة إلى الصفر أو ما دونه، وأن شباب اليوم عاش طفولته في تلك الفترة، الأمر الذي نمى ثقافة الشك والخوف مرة أخرى وأحيى رواسبها. ناهيك عن انتشار ظاهرة الإجرام والاعتداءات والسرقات ليلا نهارا.

ــ عامل أو بعد الفساد البيروقراطي: ويتمثل في الفساد المتفشي في الإدارة جراء الفوضى والتعقيدات والجمود ومختلف الآفات كالرشوة والمحسوبية والمحاباة وغيرها التي شكلت بيئة خاصة، هذا الواقع غذى الضمائر بفقدان الثقة إلى درجة ساد الاعتقاد معها باستحالة حل مشاكل الناس إلا بوسائط وتعاملات خاصة وما ينجر عنها من فساد. ولاشك أن هذا الوضع لا يخلو من مظالم وجور وضياع الحقوق وهضم المستحقات والكسب غير المشروع ...، ففي ظل الفوضى وغياب الشفافية يصبح كل شيء ممكن.

4. الشباب وظاهرة الفساد في المجتمع

انتشار ظاهرة الفساد في المجتمع عززت نزعة الشك في مخيلة الشباب إزاء مؤسسات المجتمع وتنظيماته الرسمية، إلى حد أضحى معه استحالة إقناعه بغير ذلك، فعندما تدفعه الضرورة للتعامل معها يستعين من أجل الولوج إليها وإلى مصالحه بمعارفه وشبك علاقاته التي قد ينسجها خصيصا لتلك التوقعات، حيث أصبح، كل شيء بالنسبة لبعض الشباب مزور وقائم على التزوير وهذا يجعله لا يتوانى في ممارسة ذلك كلما وجد إلى ذلك سبيلا وهو مطمئن البال والضمير.

ففي دراسة الشباب والتربية المشار إليها سابقا، طلب من المستجوبين ترتيب المشكلات التي تعاني منها المؤسسات والتنظيمات التي تعنى بشؤون الشباب؟ فكانت النتائج كما هي في الجدول التالي:

ترتيب الشباب للمشكلات التي تعاني منها المؤسسات والتنظيمات التي تعنى بشؤون الشباب

الترتيب / طبيعة المشكلات	1	2	3	4	غير مبين	المجموع
الرشوة	646	343	219	119	148	1475
	43,8	23,3	14,8	8,1	10,0	100
البيروقراطية	302	351	397	229	196	1475
	20,5	23,8	**26,9**	15,5	13,3	100
غير منظمة أي الفوضى	222	259	243	536	215	1475
	15,1	17,6	16,5	**36,3**	14,5	100
المحسوبية والجهوية	216	371	429	267	192	1475
	14,6	**25,2**	**29,1**	18,1	13,0	100

الملاحظ من بيانات العمود الأول للجدول الخاص بالمرتبة الأولى، أن الرشوة حازت أعلى نسبة (43,8%) تليها البيروقراطية بنسبة (20,5%) فالفوضى (15,1%) ثم المحسوبية والجهوية (14,6%). بينما ترتيب هذه المشكلات يختلف من عمود إلى آخر. ومن أجل الحصول على الترتيب الدقيق لهذه المشكلات حسب إجابات الشباب، فإننا نعتمد على معدل النسب المحسوب من المعاملات الممنوحة لكل عمود[43]. والذي مكننا من الحصول على الترتيب الآتي:

1. المرتبة الأولى: الرشوة (28,28%).
2. المرتبة الثانية: البيروقراطية (22,27%).
3. المرتبة الثالثة: المحسوبية والجهوية (21,03%).
4. المرتبة الرابعة: الفوضى (18,25%).

إن هذه النتائج لا تعكس بالضرورة معاناة الشباب المستجوب نفسه من هذه المشكلات وإنما هي ثقافة عامة أصبحت سائدة عنده حول هذه المؤسسات،

43 – المعدل يساوي مجموع النسب مضروبة في معاملاتها مقسوم على مجموع المعاملات.
– المعاملات هي: العمود الأول معامل 4، العمود الثاني معامل 3، العمود الثالث معامل 2، العمود الرابع معامل 1
–مجموع المعاملات هو: 10 . فنحصل على المعادلة التالية لكل مشكلة:
ن1×4+ن2×3 +ن3×2+ن4×1=10

وعموما هو الحديث المتداول بين الناس عن فساد الإدارة.

5. مستويات الثقة عند الشباب

تعد الثقة الشرط الأول للتعاون والتضامن بين الناس وقاعدته الأساسية، سواء على المستوى الأفقي بين الأفراد، فعندما يزول الخوف والشك تصبح الإثارة والاستجابة بينهم سريعة وفعالة وهادفة خالية من المراوغات والمجاملات والتحفظات، أو على المستوى الرأسي بين الحاكم والمحكوم، عندما يصبح الحاكم ينظر إلى المواطن كرافد من روافده وكمعين له لا كخصم وغريم، وينظر المواطن للحاكم كراعي يصيب ويخطئ ويحتاج إلى إعانة وتقويم مستمرين.

وفي هذا السياق طُرح سؤال على الشباب يهدف إلى قياس مستوى ثقة الشباب في المؤسسات والناس عامة مفاده: هل لديك ثقة فيما يلي (اقتُرحَت عليه مجموعة من الجهات)؟ فكانت النتائج تؤكد بأن الثقة عنده لم تتجاوز نسبة 50% إزاء جميع الجهات المذكورة باستثناء المؤسسات الدينية التي تجاوزتها بقليل، وهي متدنية للغاية بالنسبة لأغلب الجهات، كما يبينه الترتيب الآتي:

1. المؤسسات الدينية عموما (56,6%).
2. رجال الأمن (43,5%).
3. القضاء (32,1%).
4. الإعلام الوطني (25,6%).
5. المسؤولون عليك في المؤسسة التابع إليها (25,1%).
6. الشركات والإنتاج الوطني (24,1%).
7. الانتخابات (18,4%).
8. الشركات والمنظمات الأجنبية (16,1%).
9. الجمعيات والنقابات (15,5%).
10. الناس عامة (11,2%).
11. المسؤولون المحليون في البلدية والولاية (7,6%).
12. الأحزاب السياسية (6,5%).

وبالنظر إلى تدني هذا المستوى الخطير الذي بلغته الثقة يُطرح التساؤل الحتمي التالي: كيف يمكن استعادة الثقة أو تجديدها أو ترميمها في مُخيلة الشباب وفي الضمير الجماعي، خاصة إذا عرفنا أن الأمر مرتبط بأجيال متعاقبة دوما ومحددة بفترات زمنية ضرورية لحدوث التغير؟

إن انهيار الثقة بهذه الدرجة الكبيرة لا يعني أن الناس أصبحوا يعيشون بدون ثقة، بل أن ذلك ينمي الثقة البينية العلائقية، وهذا من شأنه يدعم العلاقات الشخصية الضيقة والروابط غير الرسمية، ورغم ما لذلك من أهمية في الحياة الاجتماعية للأفراد، فإنه يفتح الباب واسعا للواسطة والتوسط وغيرها من الممارسات التي هي مدخل من مداخل الفساد، ويقضي من جهة أخرى على الثقة الموضوعية المؤسساتية، و يترك بدون شك أثرا سلبيا على الحياة المعاصرة المبنية على التنوع والتعدد والتعاون في فضاء يتميز بالشمولية والانفتاح.

خاتمة

صراع القيم والصراع الاجتماعي وجهان لعملة واحدة هي أزمة الثقة، فمن جهة صراع بين قيم التنشئة والقيم الشائعة، ومن جهة أخرى فإن القيم الشائعة تنمي الفساد الذي يهدم الثقة بين الأشخاص وفي المؤسسات، فبدون استرجاع الثقة لا ينتهي الصراع الاجتماعي ولا الصراع القيمي، فالثقة والصراع (بشكليه ألقيمي والاجتماعي) يمثلان طرفي معادلة واحدة ويوجدان في علاقة تشابكية معقدة تغذى بعضها بعضا. فانهيار الثقة ليس كانهيار الأشياء المادية التي يمكن ترميمها بالوسائل المادية إذا توفرت الإرادة، بينما إعادة ترميم الثقة أو استرجاعها يحتاج إلى وقت للبرهان عنها حتى تكون المؤسسات جديرة بها في نظر الشباب، هذه الجدارة قد تحتاج إلى جيل على الأقل لأن الأمر لا يتعلق بالتغير الذي يتم على مستوى المؤسسات بل بالتغير الذي يتم على مستوى الأشخاص، فلا بد أن يسبق تغير الأشخاص تغير المؤسسات، فلا يمكن للمؤسسات أن تكتسب ثقة الناس وتستعيد مكانتها لديهم بنفس الأشخاص الذين كانوا السبب في انهيارها وانحرافها.

ومن ثم فإن التنمية والنمو والتقدم الاجتماعي تقتضي بعث الثقة وهذه بدورها تحتاج إلى سياسة اجتماعية كفيلة بإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي، كما تستلزم تفعيل القيم المنتجة وتحويل القيم المثالية إلى إجراءات عملية ملموسة تمارس في الحياة اليومية، في الأسرة وفي المدرسة وفي ميادين العمل وفي الشارع وفي العلاقات والمعاملات العمومية. وهذا بتفعيل الاجتهاد الفكري والمعرفي الذي له الدور الأول في هذا الميدان، والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى بصفتها تجارب إنسانية.

وإذا أردنا أن نذهب بعيدا في نهاية هذه الدراسة؛ يمكن القول بأن ما يلاحظ من صراعات وحركات شبابية تعكس ما وصل إليه المجتمع من أزمة على مستوى العلاقات والممارسات، كون الشباب هو الفئة الاجتماعية الأكثر تأثراً فيها

والأقدر تعبيراً عنها في ذات الوقت، وأزمة النموذج التنموي الذي يضمن النمو والتقدم الاجتماعي ويرفع شأنه عاليا بين شباب الأمم الأخرى في هذا العالم الذي تحول إلى قرية مكشوفة مشبكة بعلاقات فرضتها التطورات الحاصلة والمتسارعة في عالم المعرفة والتكنولوجية.

وأخيرا، لعل هذا التحليل يقدم العناصر الأولية التي تسمح بفهم الشباب وفهم تصرفاته وأفعاله وحتى ثوراته، لأنها وبكل بساطة تكشف عن مدى تعقد وضع الشباب المتفجر البركاني الذي يجعله جاهزا ومستعدا لكل شيء، حسب ظروف كل فئة من فئات الشباب، وحسب قرب كل فئة وبعدها عن مراكز القوة ومراكز الفعل ورد الفعل، الذي استحدث لأفعاله وحركاته أُطراً حرة بعيداً عن أي تأطير رسمي مستغلا الفضاءات الجديدة للتفاعل.

المراجع باللغة العربية

1. ابن خلدون عبد الرحمان (1984). المقدمة. الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
2. ابن نبي مالك (2002). مشكلات الحضارة: تأملات. ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت -لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية.
3. محمد بومخلوف، بوزيد صحراوي، محمد الرءوف القاسمي الحسني، مختار جعيجع، حورية سعدو (2008). الأسرة والتربية: دراسة سوسيولوجية لأثر الضغوط الحضرية على الوظيفة التربوية للأسرة. بحث جامعي((CNEPRU رقم: V1601/05/2003، مخبر الوقاية والأرغونوميا، جامعة الجزائر2.
4. محمد بومخلوف، بوزيد صحراوي، مختار جعيجع، حورية سعدو، نعيمة نيار، رقية عدمان (2012). الشباب والتربية: دراسة سوسيولوجية للمرجعيات التربوية وآليات التوفيق الاجتماعي للشباب. بحث جامعي((CNEPRU رقم:V00120060039، مخبر الوقاية والأرغونوميا، جامعة الجزائر2.
5. جرموني رشيد (2009). التحولات القيمية بالمغرب: الشباب نموذجا. المجلة العربية لعلم الاجتماع، مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 8.
6. جوزيف شومبيتر (1964). الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية. ط2، تعريب وتعليق: خيري حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
7. حواوسة جمال (2009). ظاهرة الصراع القيمي لدى الشباب الجزائري : دراسة تحليلية. أعمال الملتقى الدولي حول: الشباب بين الأصالة ومسايرة المعاصرة، 26-25-24مارس 2008 منشورات المجلس الإسلامي الأعلى.

8. زيادة رضوان، كيفن جيه أوتول (2010). صراع القيم بين الإسلام والغرب. ط1، دار الفكر، دمشق.

9. الزيود ماجد (2006). الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

10. ستيفن آر. كوفي (2005). القيادة المرتكزة على مبادئ. مكتبة جرير، المملكة العربية السعودية.

11. فرانسيس فوكوياما (2000). الانهيار العظيم: الطبيعة الإنسانية وإعادة بناء النظام الاجتماعي. جريدة الخليج الإماراتية، العدد 6474.

12. فهمي هويدي (2006). عن الفساد وسننه. ط1، دار الشروق، القاهرة.

13. محمود بوسنة (1986). الأرغونوميا والتنمية في العالم النامي. المجلة الجزائرية لعلم النفس وعلوم التربية، عدد 2، ديوان المطبوعات الجزائرية.

14. مصطفى عشوي، بيتر سميث، محمود بوسنة، عبد الله الأمين، جميلة السيار (2011). الواسطة والفساد في إدارة المال والأعمال: دراسة إقليمية مقارنة. مجلة أفكار وآفاق، العدد1، جامعة الجزائر2.

15. Aujac Henri (1983). Culture nationale et aptitude a l'industrialisation. Revue d'économie politique, no1, janvier-février. Bernoux Philippe (1985). La sociologie des organisations: Initiation. éd. Seuil, Paris.

16. Bollinger Daniel, Hofstede Geert (1987)÷:Les différences culturelles dans le management : comment chaque pays gère-t-il ses hommes?. éd. d'organisation, Paris.

17. Crozier Michel, Erhard Friedberg (1977).÷L'acteur et le système: Les contraintes de l'action collective, éd. du Deuil.

18. Donald Kalff (2005). L' entreprise européenne: la fin du modèle américain. Vuibert, Paris.

19. Karl Manheimm (1990). Le problème des générations. trad. Gérard Mauger et Nia Perivolaropoulou, éd. Nathan, Paris.

20. Lugan Jean-Claude (1983). Éléments d'analyse des systèmes sociaux. éd. Privat, Toulouse.

21. Robert D. Putnam (2006). Bowling Alone: Le déclin du capital social aux Etats-Unis. in Antoine Bevort, Michel Lallement: Le capital social: Performance, équité, et réciprocité, la découverte, M.A.U.S.S. Paris.

22. Sidiki Diakite (1985). Violence technologique et développement: la question africaine de développement. éd. l'harmattan, Paris.
23. Sophie Ponthieux (2006). Usages et mésusages du capital social. in: Antoine Bevort, Miche Lallement: Le capital social : Performance, équité, et réciprocité, éd. la découverte, M.A.U.S.S, Paris.
24. www.albayan.ae/economy/6-2000-12-30-1.1057159.